ليبنتز

١. حياته ومؤلفاته

ولد الفيلسوف والرياضي والفيزيائي والمؤرّخ غوتفريد ڤيلهلم ليبنتز في مدينة لايبزيغ (Leipzig)في ألمانيا سنة ١٦٤٦، كان والده رجل قانون وأستاذا لعلم الأخلاق في جامعة لايبزيغ، أتقن اللاتينية واليونانية في سنّ مبكرة، ممّا مكّنه من الاطلاع على مؤلفات أفلاطون وأرسطو في نصوصها اليونانية. التحق في سنّ الخامسة عشرة بجامعة لايبزيغ لدراسة الفلسفة، واطّلع على مؤلفات فرانسيس بيكون وديكارت وكبلر وغاليليه وهوبز... وتخرج سنة ١٦٦٣ برسالة عنوانها "مناقشة ميتافيزيقيّة لمبدإ الفرد"، واتّجه إثر ذلك إلى جامعة بينا لدراسة الرياضيات.

درس لايبنتز القانون و حصل على درجة دكتوراه في القانون سنة ١٦٦٧ ودرجة الأستاذية. إلاّ أنّه رفض العمل أستاذاً للقانون، وفضّل الاشتغال في الحقل الدبلوماسي، فأمضى في باريس أربع سنوات راعيا المصالح الألمانية في بلاط لويس الرابع عشر، وفيها أتقن اللغة الفرنسية.

كتب بحثا عن تربية ترتكز على أسس قانونيّة، انتبه إليه خاصة أسقف مدينة ماينتز فألحقه بخدمته وسهرا معا على إنجاز مشاريع هدفها إحلال السلام والمحافظة عليه داخل ألمانيا وخارجها. وهذا ما دعاه إلى الاهتمام بالبعد العقلي في الدين المسيحي، لإيجاد أرضيّة مشتركة تجمع الكاثوليك والبروتستانت وتكون دعامة للتسامح الديني الحقيقي. وأصدر كتابا في فنّ التركيب أراده محاولة أوّليّة لإصلاح المنطق والرمزيّة، ثمّ وضع رسالة في "منهج جديد في مشكلات القانون" بيّنت أهمّيّة المنهج التاريخي في دراسة القانون.

عمل لايبنتز إثر هذا أمين مكتبة هانوفر في ما بين سنتي ١٦٧٦ و١٧١٦ تاريخ وفاته. وتنقّل في هذه الفترة بين فرنسا وأنجلترا وهولاندا، حيث التقى كبار مفكري

عصره وعلمائه، مثل مالبرانش وسبينوزا... ويعدّ لايبنتز من أنصار المذهب العقلي، فهو يرفض مقولة أنّ العقل صفحة بيضاء ويعترض على القائلين بالنزعة الحسّيّة والتجريبيّة، ويعتقد في المقابل أنّ مصدر المعرفة هو العقل، وأنّ "النّفس تمتلك منذ الأزل مبادئ المفاهيم والمصادرات المختلفة، التي لا توقظها إلاّ الأشياء الخارجيّة... ونادى لايبنتز بأنّ معيار الحقّ هو الوضوح وانعدام التناقض". ويرى لايبنتز أنّ "النظام الخلقي هو جزء من إدراكاتنا المميّزة، المطابقة لطبيعتنا وطبيعة الوجود، فواجبنا أن نتوقّف عن العمل إذا كانت إدراكاتنا مشوّش ومغلوطة، فما الخطيئة إلاّ العقل الصادر عن إدراك ناقص" .

وكان ليبنتز أول من اكتشف "حساب التفاضل" ، وقد جمع إلى جانب الفلسفة والرياضيات ، الفيزياء والجيولوجيا واالبيولوجيا والتاريخ...

لم تنشر جميع كتابات لايبنتز، لأنّ عددا كبيرا منها كان في شكل مراسلات، ولم يتمكّن الباحثون من جمعها وضبطها، ونذكر من مؤلفاته: "علم الجواهر الروحيّة" (مونادولوجيا) (١٧١٤)، "الفلسفة الإلهيّة" ، "مقالات جديدة في الفهم الإنساني" (كتبت سنة ١٧٠٤ ونشرت سنة ١٧٦٥)، "في التناسب الحق بين الدائرة والمربع" (١٦٨٢)، و"المنهج الجديد لتعيين النهايات الكبرى والصغرى" (١٦٨٤)، "قانون دولي عام ديبلوماسي" (١٦٩٢).

٢. منهجه

تميزت فلسفة لايبنتز بالطابع التحليلي الذي يسعى الى تحليل كل فكرة من الافكار ليصل الى ما تتضمنه من علاقات وتصورات وليستخلص ما يكمن فيها من مبادئ وقوانين ولكن تحليله لفكرة الجوهر أو "المونـاد" أدى به الى اعتبار العالم الخارجي عالماً يتكون من وحدات حقيقية وظواهر محكمة البناء ،أي من روح ومادة ومن فكرة الروح الانسانية انتهى الى تحديد نظريته في المعرفة.

ويقسم المعرفة قسمين (فطرية ، ومكتسبة) معاً ، ولا تعارض بين هذين النوعين من المعرفة، فالفطرية تعني ان الذهن لديه القدرة على معرفتها ، وهذه المعارف تنبثق من داخل المونـاد. ومكتسبة بمعنى أنها تتأثر بما تثيره ادراكاتها للعالم الخارجي وماتمدها به تجاربها من مادة خام تتيح الفرصة لنقل ما لديها من افكار موجودة بالقوة الى الوجود بالفعل .

اذن الافكار كامنة في نفوسنا لا يحققها و لا ينقلها من الوجود بالقوة الى الوجود بالفعل – الا ماتثيره الاشياء الحسية وما يصاحبها من معرفة مكتسبة ، وقد اعتمد لايبنتز في الربط بين المعارف الفطرية والمكتسبة على "المونـاد" .

٣. المونـادات

يطلق ليبنتز على الجواهر أو مراكز القوة التي هي عنده الحقائق النهائية للكون اسم "المونـادات"، والمونـادات عند ليبنتز جواهر بسيطة بصورة مطلقة؛ لأنها لا تتكون من أجزاء ممتدة، ولا يمكن بالتالي تحليلها إلى أجزاء وهي بالتالي خالدة ولا تفنى «وقد خلق المونـاد الأسمى- أي الله- المونـادات الأخرى، ويمكن إذا أراد أنْ يفنيها».

افترض ليبنتز أنّ العالم بأسره يتكون من عدد هائل من الوحدات البسيطة التي سماها مونـادات، هذه المونـادات كما يقول هي الذرات الحقيقية للكون، وهي المكونات النهائية لكل شيء، وهي لا تملك شكلاً ولا حجمًا ولا قابلية للانقسام؛ ولذلك فهي بالضرورة أبدية خالدة، ونفس كل إنسان بمثابة مونـادة واحدة، غير أنّ جسمه مجموعة من المونـادات مختلفة الأنواع، وكل الجواهر من طبيعة القوة، وتتكون من مراكز منفردة من القوة التي يجب أنْ تكون مونـادات. والقوة عند ليبنتز أسبق من تصور الحركة نفسه؛ إذ أنّ الحركة رغم مالها من أهمية في تفسير الظواهر، ينبغي أنْ ترد آخر الأمر إلى نوع من القوة أو النزوع.